(١٦)

الإنسان
مِمّ ولِمَ تواجد وماذا ولِمَ أُوجد
حاله وأصله ومآله

حديث الجمعة
٦ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ٥ أكتوبر ١٩٦٢ م

رحمته.. رحمانه.. عرشه.. كرسيه.. صبغته.. فطرته.. شهادته.. غيبه..

{هل تعلم له سميًا}[١]؟! {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}[٢].

وسع كرسيه السموات والأرض.

كرسيه في عرشه، كحلقة ملقاة في فلاة.

وسعت رحمته كل شيء، واستولى رحمانه على كل شيء، استوى رحمانه على العرش.

كل شيء يسبح بحمده، فطرة الفاطر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الذي أتقن كل شيء صنعه.

أتم في مولد بدء، وبدأ في مولد تمام منزها عن البدء وعن التمام. ظهر بالإنسان، صبغته، ومن أحسن منه صبغة.

يريهم آياته في السموات والأرض، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم منه وأنهم فيه، وأنه الحق، كلا يمد هؤلاء وهؤلاء، يداول الأيام بين الناس، يتغلب من هم زينة الدنيا بدنياهم يعبدونها، ثم ينهزمون بظنهم القدرة عليها وكفرهم بها من الحق، وينتصر من هم زينة الآخرة بأخراهم يعبدونها ثم ينهزمون بظنهم القدرة على أنهم بعملهم يأخذونها ويخلقونها فيكفرون بمعناها لهم بالحق، وما أبدع خلقه، وما خلق الخالق إنسانه، وما تجلى بنفسه بما صنع ليزين به الدنيا والدنيا ما خلقت إلا له، أو ليزين به الآخرة وما وجد بالآخرة ما تواجد إلا له، بل صنعه لنفسه، وصنع كل شيء من أجله، طلب إليه

هاديا ألا يتعب للحصول على ما صنع له، فإنه آتيه يوم يستحقه بلا كد وبلا عد وبلا حد، وطلب إليه ألا يلعب فيما خلق هو من أجله لنفس من هو ربه، هيأه دثار ظهوره ليصنع على عينه، وألا يأخذ هذا الأمر هزوا ولهوا، كلما نودي للصلاة والصلة ممن أسفر بها من يوم الجمعة، وهو ظهور الإنسان بمعناه ودعوته ليومه في دهره يجمع على غيبه له باسم الله، يستمع لدعوته لاهيا لاعبا هازئا التعساء، وينتهبها ويلتهمها لأنفسهم السعداء، قل ما هو أقرب إليكم من حبل الوريد خير لكم من اللهو ومن التجارة.

أهكذا كلما رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما! تدعوهم وأنت بالحق قائم، تدعوهم وأنت وجه الغيب الظاهر، تدعوهم وأنت الحق لهم من ربهم، فيضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، والله محيط بالكافرين، وإذا أحاط الله بشيء محاه، يحيط بثمرهم، فيقلبون الأكف على ما أنفقوا فيها من مال وجهد وما أصبح من أمرها وقد غار ماؤها وتوقفت أكلها.

إن الله هو ما وراء الصادقين، هو ما وراء المؤمنين، هو ما وراء العابدين بإحاطته، هم وجه إحاطته يفعل بهم ويفعل لهم، ليكونوا وجوها له به مشرقة لوجوه لها به ناضرة عبادا له هم عباد رحمته على عباد له هم عباد فضله، محتجبا عن عباد له هم عباد أنفسهم. فالكل لله عباد، ولكن للرحمة من بين أهل رحمه عباد، هم وجوه طلعته، هم كلماته، هم هداته، هم آياته، هم قبلته، هم نصبه، هم وجوهه لمن ألقى السمع وهو شهيد.

لا جديد في الحق، ولا جديد في الخلق، ولا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الشمس، وقد جعلت الشمس دليلا على إنسان وجوده، لا جديد في صمدية الإنسان، ولا دخيل على أحديته في قيام عوالم خلقه، ولا جديد في الإنسان في مرفوع عوالم حقه. لا جديد حول البيت الموضوع، ولا جديد في البيت المرفوع، ما دخل الإنسان البيت المرفوع إلا بعد طواف حول البيت الموضوع. بهذا الطواف أفاض الله عليه مفتقرا، وأنزل السكينة على قلبه حائرا، وألحقه اللطيف الخبير بحضرة رحمته، وقربه بأهل بيته يتيما، فأمسكته يد ربوبيته وأبوته يتيما آواه، ورفعته يد قدرته مسكينا أغناه، وأمسكته يد رحمته فأدخلته مرفوع بيت ربوبيته ومولاه.

إن ما جاء ويجيء به الدين، هو ما جاء ويجيء به العلم. وما جاء ويجيء به العلم هو ما يسبق أو يلحق ما جاء به الدين ليهيئ الجو والعقول لما سوف يأتي به الدين، أو ليبين ما غمض أو ما أجمله أو أشار إليه الدين. يسبق الدين العلم بتبليغه، ويسبق العلم الدين ببيانه للحقائق، وكشفه وإيضاحه لأمور الكائنات والدقائق. هما أخوان، وصنوان، ورفيقان، يتسابقان على تعريف الإنسان بالفضل والفضيلة لا يتخاصمان ولا يتنافران على تعريف الناس بربهم هم فيه وهو فيهم. هو اللطيف الخبير بهم وفيهم ومن

ورائهم، يلحق الأبصار فتبصر، ويلحق الأسماع فتسمع، ويلحق العقول فتشرق، ويلحق القلوب فتحيا، ويلحق الذوات فتبقى، ويلحق البقاء فيتطور، رب الفلق للنفس الواحدة، ورب الرتق لأبعاض النفس الواحدة، يقطِّع أرض الذات التي تقوم بالبقاء من هيكل الإنسان عوالم، ويتواجد بأبعاضه بها حقائق، يرتقها في دوائر وأفلاك، وكواكب وسدم، من وجوه في وجوده، في ثنائية من شهود لمشاهد بتعدد لتكاثر في واحدية من شهود لأحدية من عقيدة ووجود، في وحدانية من انتظام. لا جديد في الوجود، ولا جديد على الشهود. لا جديد في الحق ولا في الحقيقة، أحد لأحدية دائما، وأبد لأبدية دائما، وواحد لواحدية دائما قديما وسرمدا، لا إله إلا هو، ولا موجود غيره، الناس فيه بين موتى ونيام، بين سجود وقيام، بين خصام وسلام، يعرفونه في معرفة أنفسهم، ويجهلونه في جهل أنفسهم، ويحيونه في حياة قلوبهم، ويفقدونه في موت ضمائرهم، لا إله إلا هو، إليه المصير. فلا أنًا إلا له، من ورائهم محيط، هم له وجوه، لا يُشهد لها إلا يوم يشهد بها، وجوها له، مشهودة منها، ومشهودة لها، من وراء الكل بإحاطته، في شهود الكل لوحدانيته الشاهد والمشهود، وبانتظام الكل بأحديته لا غيره ولكن هو، ولا إله في غيب ولكن شهوده، هو الشاهد والمشهود، وهو الموجد والموجود في عين مطلق وجوده لا بدء ولا نهاية له. هو الطاقة قبل تجسدها وهو الأشياء قبل تحللها.. هو ما وراء الأشياء من طاقة تحكمها.. وهو ما وراء الطاقة من أشياء تصدرها.. وهو ما بالأشياء من طاقة تتجسدها.. وهو ما بالطاقة من الأشياء في طريق تواجدها.. هو باطن الأشياء وهو باطن الطاقة.. هو الأشياء وهو الطاقة.. هو الوجود وهو مصدر الوجود. الإنسان ذكره ومعناه، وباطنه لظاهره، وظاهره لباطنه.

هذا جاء به الإسلام، صبغة وفطرة، وتطويرا ونشأة، وإخراجا من عدم أو ما هو في معناه، وامتدادا بنور، وقياما بحياة.

المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، من سالم الله في الناس فسلم الناس من بطشه ومخاصمته، وسلم من الناس بفطرته لم يدخلها فعلهم، من رأى أنه بالوجود حيا موجودا فغنى وقنع بالحياة مسيح وجوده شاهدا ومشهودا، لا غيره بوجود منعزل ولكن عينه في تواجد متصل فدخل حصن لا إله إلا الله، وأمن من مكر الله وزحزح عن النار، وأدخل الجنة، وفاز بالله، وفاز بالحياة، فاز بالعقيدة، فاز بالسلامة. وفاز بالسلامة ففاز بالقيامة. لا ينكرها وهي قائمة، ولا يستعجلها وهي قادمة، ولا يجهلها وآياتها عارمة. مات قبل أن يموت، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وبعث قبل أن يبعث. يؤمن بساعته يقيمها ويشهدها قائمة لا ينتهي لها قيام، رحيمة لا يتعطل منها فيض بسلام، إنما هي الأعمال ترد إلى مصدرها فيشهد أنه لا إله إلا الله، فإذا عرفه الحياة، وإذا اتصفه معناه، إذا

أحسن حق قدره، وتأدب في حق تقديره فعرف الحق في الإنسان، وعرف الحق في رسول الإنسان، وعرف الله برسول الحق فيه فطلبه به فشهده، فقام به فقامه، فعرف نفسه، وعرف ربه، عرف مسحه، وعرف وجوب ربه بوجوده في معروف إحاطته بمعلومه، من معدوم ذاته في موجود معبوده، فشهد أنه لا إله إلا الله، وعرفه بها عبده ورسوله فعرف محمد الله ورسوله، فشهد أنه محمد رسول الله.

يا أيها الذين آمنوا.. يا أيها الذين عرفوا المعروف.. يا أيها الذين اتصفوا الموصوف.. يا أيها الذين وجدوا الموجود.. يا أيها الذين شهدوا المشهود.. يا أيها الذين عرفوا أنهم في الموجود موتى وعدم، فطلبوا موجودا لهم فيه بالوجود به، فوجدوا فتواجدوا له عبادا، فعشقوه عبده مرسلا، فأسلموا لرسوله.. يا أيها الذين آمنوا بالله وأسلموا لرسوله اتقوا لقاء الله وآمنوا برسوله، فآمنوهم فيه فأعطاهم رسوله كفلين من رحمته، أعطاهم رسوله، معناه لمعانيهم، فشهدوا بمعانيهم معناه لهم في معاني الرب عليهم، كما شهدوا بمعاني العبد فيهم معاني الحق لهم، فأخذوا كفلين من رحمته، أخذوا وصف العبد مرحوما، وأخذوا وصف الرب راحما، وعرفوا أنهم جميعا رب راع وعبد مسئول عن رعيته، فخشوا الله في أنفسهم وفي ضمائرهم عبادا له وأربابا على من ربوا ممن كفلوا، ممن منهم تواجد أو بهم وجد وممن عليهم قاموا. هذا هو الإسلام، هذا هو الدين، هذه هي الفطرة، هذه هي صبغة الله. فماذا يطلب الناس وماذا يدرك الناس؟ يتكلمون عن حتمية التاريخ ولا يدركون من خلق وصنع التاريخ، ولا يعرفون معنى للتاريخ، أو باطنا للتاريخ، وينفرون من اسم الله في فعله قديما وفعله قائما، صبغة الله وفطرته في الإنسان قام بالله ويقوم بالله ويقوم به الله في قيامته.

إن الله كما بدأ أول خلق معيده على ما بدأه بدءا بعد بدء. إن الله في قديم الخلق وجديده. إن الله قائم بقديم الخلق، كما هو قائم بجديد الخلق. إن الله خالق بالخلق، وسبق أن جعل وهو جاعل من المخلوق معنى الخالق، والله خلقكم وما تعملون. فهل وحد الناس الله فأمسكت يد بطشه بإحاطته عن هلاكهم إلى الإمساك بهم مرحومين، متوفين بموتهم عنهم إذ يشهدون فيهم وحدانيته؟ إنهم ينفرون من وحدة الله، وينفرون من وحدة الوجود، وينفرون من وحدة أنفسهم، وينفرون من وحدة جديدهم بقديمهم في حتمية التاريخ كما يقولون، ومن وحدة قادمهم مع قائمهم، يرون الناس في دوام بما يكسبون، ويعرفون الناس في دوام معارفهم فيما يكشفون من ظاهر أمرهم، ويغمضون عن أمر أنفسهم، ولا يتابعون إمام بشريتهم، {فكشفنا عنك غطاءك}[٣] {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر}[٤] الخطاب له وهم المخاطبون {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٥].. انظروا في بيداء داخلكم فعمروها، ولا يشغلكم في خدعة عن أمركم خضراء ظاهركم، فإنكم لن تفقدوها، إن لكم ما تكسبون من تعمير

داخلكم فلا تكونوا عبادا للدنيا وزينة لها، ولكن اجعلوا من الدنيا أمة لكم، وحقلا لعملكم، عمروا داخلكم بالله وهو له مهيأ ما كنتم في الحياة، وما تكشفت لكم أنفسكم، وما قامت فيكم عليكم ضمائركم، وما حكمت في أمر أنفسكم عقولكم، وما خضعت واستجابت لأمر العقل نفوسكم، وما حرصت على الحياة ذواتكم، وما قامت بالحياة لكم معانيكم.

كل هذا جاءكم به الإسلام دين فطرة، كما جاءكم به دين كتاب، كما جاءكم به دين علم، كما قام فيكم دين رسول وبيت وعترة، عبادا للرحمن لا ينقطع لهم على الأرض تتابع وقيام، ولا يتوقف لهم فيها سعي بسلام. ختموا النبوة والأنبياء وبعثت فيهم الأمم بالحساب والجزاء هم عليهم شهداء، يمشون على الأرض وهم الأرباب للأرض أمة ولدتهم لا مستعلين ولا مستكبرين لا عن ذل ولا عن ضعف، ولكن عن حكمة، وعن رحمة، وعن تواضع، وعن سلام في وعي، وعن رحمة في تدبير، وعن حكمة في هدي، واستقامة في قصد. طلب إليكم أن تبحثوا عنهم بينكم من أنفسكم، وأن تسعوا لهم ما عرفتم لهم كعبة تقصد، وبيتا يطرق، وقبلة تعشق. بهم تشهدون أنه لا إله إلا الله، يوم أنكم بهم ولهم وفيهم تشهدون أنه لا فرق بينكم وبينهم، فتقومون لله فرادى، وقد كنتم في شهودكم مثنى، فعرفتم في حاضركم أحدية قيامكم، فأدركتم أحدية الله لكم، وأحدية الله لأبنائكم، وأحدية الله لمجتمعاتكم، وأحدية الله في وجودكم، بوجوده عين وجوده وجوها له، وأعلاما عليه فتدخلون في حصن لا إله إلا الله، وتدركون وتشهدون رحمة الله بكم، يوم تعرفون أنكم بمحمد رسول الله، يوم تكونوا من الصديقين يوم تصدقون الله وتصدقون مع الله وهو يقول لكم: واعلموا أن فيكم رسول الله، فتقولون كما قال أناس من قبلكم: أيها المبعوث فينا جئت في ضمائرنا بالأمر المطاع، فتعلمون رسول الله بينكم وفي أنفسكم فتترنمون به بدرا مشرقا على ظلام أرض قلوبكم، وشمسا ذاهبة بظلام ليلكم، وروحا متدفقة بالحياة في أرض هياكلكم في نصب هياكلكم من ذواتكم فياضة بالحياة على قلوبكم، فتعلمون صدق قوله: هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، وتؤمنون أنكم من ربكم مشهودين. وإذا عرفتم أنكم منه مشهودين سألتموه أن يلحق أبصاركم بلطيفه فتكونوا له من المشاهدين، شهودا لنفسه بنفسه، فتدخلون في لا إله إلا الله، وتقومون محمدا رسول الله في محمد الحق من ربكم.

هكذا هو الإسلام، وهكذا جاء الإسلام، وهكذا يتجدد الإسلام كلما جدده لنفسه في نفسه مسلم، فآخاه من طلب الإسلام ليكون مسلما، فأدرك في رسول الله قدوة لا تغيب، وأسوة لا تنقطع، ووجها لا يحتجب، فعلم أن رسول الله يتلو كتابه على مكث ليبين لهم، وأن عترته وكتابه لا يمتنعان عليهم أبدا. كانا بالفطرة في تواجد أزلا، وفي جديد سرمدا، فيعرف أن الله قد ارتضى الإسلام للناس في فطرتهم قديما، وجدده في فطرتهم بمحمد وإبراهيم والأنبياء جديدا، وأنه مرتضيه لهم بتجديده فيهم

أبدا، يبعث لهم فيهم ومن بينهم عبادا شهداء من أنفسهم يجددونه على رأس كل أمة، وعلى رأس كل جيل من الناس، وعلى رأس كل عصر من الزمان، في لمحات من العصور، وفي ليالي وأيام من كل آن. إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. صدق الله العظيم القادر. نزل الذكر في الإنسان بالإنسان ولم يرفعه، وحفظه ولم يقطعه، ما كان الله ليعذب الناس وفيهم رسول الله، وما كان الله ليعذب الناس وفيهم من حكموا على أنفسهم بالخطيئة فاستغفروه، ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون.. نعم رضي لهم الإسلام دينا، وأرسل عبده ورسوله في فطرة الخلق، على دوام فيهم جدده، وأبرزه على كمال فيه بمحمد وببيت محمد، وبآل محمد، وبأصحاب محمد، وبأمة محمد من الشهداء وأممهم، تجديدا لا ينقطع، وقياما متصلا لا يندثر، ووجودا لا يغيب، وحقا لا يقهر. جعل مما بعد محمد بعثا لما هو من قبل محمد، فكان برسالته فيصلا للزمان والإنسان، وكان أول الساعة وأول الحشر وأول القيامة، أمورا قامت به وواصلت من بعده لا إله إلا الله محمد رسول الله...

زويت له الأرض فكانت له مسجدا وطهورا. ما ظهر في قوم إلا بلغتهم ليبين لهم لا شرف لعربي على أعجمي عنده إلا بالتقوى. كافة للناس في قدوته. كافة للناس في أسوته. كافة للناس في رحمته. لا ينقطع له في الناس تواجد. ولا يتوقف له في الله نمو بوجود أنه الإنسان وعبد الإنسان ورب الإنسان.

اللهم برحمتك فقدرنا على شهود أنه لا إله إلا الله، وعلى الدخول في لا إله إلا الله، وعلى العمل بلا إله إلا الله، وعلى الاستقامة على لا إله إلا الله. اللهم برحمتك فانشر فينا نور هديك برسول الله، وأقمنا في رحمتك رسول الله، وجوها له وعبادا لك. اللهم قوم فيك سبيلنا، وابعث بحقك قيامنا، وأزهق باطلنا، وأغطش ليلنا، وأخرج ضحانا، وأشرق بمعناك على ما أردت معنانا، واجعلنا بمحمد وجوها لك من ورائنا بإحاطتك، ومن أمامنا بشهادتك، حتى نشهدك أنه لا إله إلا الله لا شريك لك، وحتى نقومك محمدا عبدك ورسولك، وحتى ندرك ونسعد برحمتك عبادا ووجوها لك، لا تشاركِكَ في عظمتك والعظمة لك، ولا تشاركك في قدرتك والقدرة لك، فإنه لا يشارك عبد من عبادك عبدك وصفيك أول العابدين بمعاني العبد لك، فما عرفنا عن وحدانيتك إلا عن وحدانية عبدك، بمعاني العباد لك علما على وحدانيتك معه، وعلى وحدانيتك به، يا من هو لا إله إلا الله، ويا من هو في ظاهر حقه رسول الله، ويا من هو في باطن رسوله عبد الله، ويا من هو في ظاهره وباطنه لا إله إلا الله، وفي ظاهره وباطنه رسل الله وعباد الله، في ظاهر عبد الله، وباطن عبد الله، وأولية عباد الله.

بهذا أقمنا، وبه قومنا وسلمنا، وبه أدخلنا في السلم معك، وبه أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وفيه قومنا حكاما ومحكومين، عالمين وجاهلين، مجاهدين ومتعطلين، سارين وواقفين.. وخذ بيدنا جميعا، واحفظنا في يدك، وأحط بنا بيد رحمتك.. وتخللنا بلطيف يدك، ووجهنا بحكمتك ورحمتك، يا أرحم الراحمين، وألحقنا بأقوم سبيل وأتبعنا لأظهر دليل.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(لقد كان حبكم ورسالتي هما فقط السبب في رجوعي إلى عالمكم المملوء بالأنانية والقسوة. وعلى هذا أعود لأعمل بينكم مرة أخرى لأعطيكم ما أقدر عليه من مساعدة لأستمر في المهمة الخطيرة، ألا وهي تحرير الإنسان حتى يخلص من أسره، ويتمتع بما أراده الروح العظيم للذين حلت بهم بركته الربانية من حياة كاملة روحيا وعقليا وفيزيقيا. إنكم محظوظون إذ عرفتم أن الإنسان خالد، وأنه روح لانهائية تتغرب على الأرض سويعات قليلة في طريقها إلى الأبدية. إن الناس يقلبون أبصارهم إلى أعلى يتطلعون إلى فجر العالم الجديد الذي سيعطيهم أملا جديدا، وفهما جديدا).

من هدي السيد الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة مريم - ٦٥
٢ سورة الأنعام - ٩١
٣ سورة ق - ٢٢
٤ سورة الملك - ٤
٥ سورة الذاريات - ٢١